سلسلة أخبار أجواد الصحابة

١٠

قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه

أحدُ دُهاة العرب وفرسانها

الجواد ابن الأجواد

محمد شريف عدنان الصواف

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه

محمد شريف عدنان الصواف – الرياض

٥٣ ص، ١٧X ٢٤ سم – (سلسلة أخبار أجواد الصحابة)

ردمك: ٨ – ٧٢١ – ٢٠ – ٩٩٦٠م

١– قيس بن سعد بن عبادة ٢– الصحابة والتابعون

أ– العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/٢٠٥٣

ردمك: ٨ – ٧٢١ – ٢٠ – ٩٩٦٠م رقم الإيداع ٢١/٢٠٥٣

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

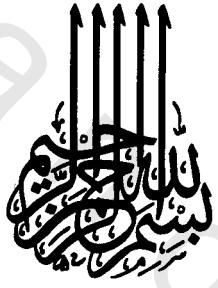

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا الرجل

«إنه في بيت جود».

سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم

كان أحدَ الفضلاء الجِلَّة، وأحدَ دهاة العرب، وأهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدَةِ والبَسالة، والسخاء، والكرم، وكان شريف قومه غير مدَافع هو، وأبوه، وجده.

الحافظ أبو عمر ابن عبد البر

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، ملكِ يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدِّ الخلق، وأمير الأنبياء والمرسلين، الهادي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم من بين الأولين والآخرين وجعلهم حملةَ الرسالة، وأنصار الحقِ، ورُسُلَ الهداية، فكانوا خيرَ أمَّة أخرجت للناس، وبذلوا في سبيل ذلك الأموال، والأولاد، والأنفس، وسعوا في سبيل ذلك كلَّ مسعى لا يدخرون جهداً، ولا مالاً.

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُكرِمَ أصحابه، ويعرف لأهل الشرف منهم قدره ومنزلته، وكان قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشراف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلقد كان أبوه سعد وأجداده من قبل سادة الخزرج، ثمَّ أكرمه الله وأباه سعداً بالإسلام وكانا من السبَّاقين في صحبة النبي، وفي إكرامه وخدمته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ولقيس أخبارٌ مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وخلفائه من بعده، وكان قيسٌ من أجود المسلمين، ودهاة العرب، ورويت عنه في ذلك قصص كثيرة، واستحق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُفْرَدَ بالكتابة والتصنيف، وأن يُخَلَّدَ في سِجل الخالدين، وما عندَ الله خيرٌ للمتقين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أجمعين والله المستعان، وعليه التكلان.

محمد شريف الصواف

obeikandl.com

الفصل الأول
فضل الأنصار وثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم

ينتمي الأنصار إلى الأوس، والخزرج، وهما قبيلتان من ولد قحطان كانتا تسكنان يثرب قبل الإسلام، وكان اليهود جيران الأنصار في يثرب يثيرون الفتن، والخلافات فيما بينهما فتقع المعارك والحروب، وكان آخرها بُعاث قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعوام.

ولقد بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام، وعلى نصرته وإيوائه، وقد صدق الأنصار الله ورسوله على ما بايعوا عليه، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم آخى بينهم، وبين المهاجرين، فجعل لكل واحد من الأنصار أخاً من المهاجرين الفقراء الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة، وأمره صلى الله عليه وآله وسلم بالإحسان إليه، ولقد ضرب الأنصار في معاملتهم للمهاجرين أروع صور الإيثار، والتضحية، والإكرام، وفعلوا طواعية منهم، ورغبة في ثواب الله، ما لم تستطع حكومة أو نظام إجبار مواطنيها على فعل معْشَار ذلك، وقد أثنى الله تعالى على فعلهم هذا بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ**

عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

ومن صور هذا الإيثار العظيم ما رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع الأنصاري، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين بيني وبينك، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك أُطَلقّهَا، فإذا انقضت عدتها فَتَزوَّجها![1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اقسم بيننا وبينهم النخلَ. فقال: «**لا، تكفونا المؤونة، وتشركونا في التمر**»[2].

وحاربت الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع حروبه، وقام سعد بن معاذ رضي الله عنه - سيد الأوس - خطيباً في بدرٍ فقال: إنَّا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا على السمع والطاعة، ولعلك يا رسول الله تخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها أن ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار، وأُجيب عنهم، فاظعن يا رسول الله حيث شئت، وصِل حبل من شئت، واقطع حبل من

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٧٠)،

شئت، وسالم من شئت، وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركتَ، وما أمرتَ فينا من أمرٍ فأمرنا تبع لأمرك، فامض، يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنَّا لَصُبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء ولعل الله يُريكَ منا ما تَقَرُّ به عينك، فسِر على بركة الله[1].

وقد حَفِظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودَّ للأنصار، وشكرَ لهم بلاءهم في نصرة الإسلام، وأثنى عليهم في مواضع كثيرة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً شعباً لسلكتُ وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصارِ**»[2].

وجاءت امرأةٌ من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: «**والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إليَّ، ثلاث مراتٍ**»[3].

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة للأنصار وأبنائهم فقال: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار**»[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٦٧.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٨) – والترمذي برقم (٣٩٠١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٥) – ومسلم برقم (٢٥٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٠٩) – مسلم برقم (٢٥٠٦) بألفاظ متقاربة.

وجعل صلى الله عليه وآله وسلم من محبة الأنصار علامةً من علامات الإيمان إلى يوم القيامة، ومن بغضهم علامة من علامات النفاق، فقال: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**»(١).

وفي رواية: «آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغضُ الأنصار»(٢) وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين، ومن بعده من الأمراء بالأنصار خيراً، وذلك في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى أنس رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عصب على رأسه حاشية بُردِه، فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي - كناية عن أنهم موضع سره وأمانته صلى الله عليه وآله وسلم - وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»(٣).

ولا شك أن الأنصار - رضي الله عنهم - إنما استحقوا هذا الثناء، وهذه المنزلة بما قدموه، وبذلوه في سبيل دين الله، فجزاهم الله عن رسوله وعن المسلمين خير الجزاء، وجعلنا من المقتدين، بهم السائرين على منهاجهم، رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٢) - ومسلم برقم (٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧) - ومسلم برقم ٧٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٨٨).

الفصل الثاني
الأصل الطيب

لا شك أن الإنسان يكتسبُ من آبائه وأجداده الكثير من الصفات والأخلاق مع ما يرثه عنهم من الصفات الشكلية الخَلقِيَّة، قال تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران: ٣٤].

ولقد أكرم الله قيساً رضي الله عنه بكَرَمِ الآباء والأجداد، وطيب أخلاقهم، فأبوه سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة الأنصاري سيّدُ الخزرج، وأمُّه فكيهة بنتُ عبيد بن دُليم بن حارثة الأنصارية رضي الله عنها[1]، ولقد كان لسعدٍ رضي الله عنه مواقف عظيمة في نصرة الإسلام ونبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإليكَ شيئاً من ذلك.

أبوه سعد بن عبادة رضي الله عنه[2]:

كان سعدٌ سيَّد الخزرج، ورثَ السيادة عن أبيه وجده وكان كريماً، جواداً وكان يلقب بالكامل. فلما أكرم الله أهل يثرب وشرح صدورهم للإسلام كان سعدٌ من أوائل المسلمين المصدِّقين، بايع رسول الله بيعة العقبة الثانية وكان أحد النقباء الذين جعلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمراءَ على قومهم.

---

(١) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤١.

(٢) نُشير هنا إلى أننا أفردنا سعد بن عبادة رضي الله عنه بكتاب خاص به ذكرنا فيه أكثر ما ورد من أخباره رضي الله عنه.

فلمَّا هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المدينة المنوَّرة، كان سعدٌ رضي الله عنه أحدَ وزراء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأحدَ مستشاريه، وله في مشورة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مواقف كثيرة، وكانت راية الأنصار في جميع غزوات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع سعدٍ(١)، وكان سعد لَمَّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة يبعث إليه في كلِ يوم جفنةً فيها ثريد بلحم، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيوت أزواجه(٢).

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يَعرِف لسعدٍ قدره ومنزلته ويُكثِرُ من زيارته، وعيادته(٣).

ولقد أكثر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من الثناء عليه ومن ذلك قوله: «**اللهم اجعل صلواتك، ورحمتك على آل سعد بن عبادة**»(٤).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**جزى الله الأنصار عنا خيراً ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة**»(٥).

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٣٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦١.

(٣) راجع بعض أخبار ذلك في كتابنا سعد بن عبادة، أو في تهذيب الكمال ١٠/ ٢٨٠، ومختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٣.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٠.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٢، ١

ولـمَّا توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، دعا سعدٌ الأنصار إلى بيعته، واجتمعوا لذلك في سقيفة بني ساعدة، ثمَّ أقرَّ سعدٌ لأبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالأحقية ، وبايعه، ثمَّ لحق بالشام مرابطاً، وتوفي في بصرى الشام سنة ست عشرة، وقيلَ أربع عشرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاه[1].

(١) راجع بحثاً مفصلاً عن أخبار سقيفة بني ساعدة، واتفاق الأنصار فيها على بيعة أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابنا سعد بن عبادة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
أخبار قيس بن سعد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سبق معنا أن سعداً – والد قيس – كان من السابقين الأولين من الأنصار إلى بيعة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولمّا هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثرَ من إكرامه، وكان من جملة ما أكرم به سعدٌ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن جعل من ولده قيس خادماً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وبقي قيس ملازماً لرسول الله في خدمته عشر سنين، طوال إقامته في المدينة(١).

وهكذا فقد كان قيسٌ قريباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان رسول الله يثق به، ويحبه، ويكرمه، وولاّه كثيراً من الأعمال الهامة والخطيرة.

قيس صاحب شُرْطة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم:

لم يكن الكثير من الوظائف والمهام المعروفة في زماننا موجوداً في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبداية تأسيس الدولة الإسلامية، وربما وجِدَ بعضٌ منها ولكن على اختلاف في الصورة، ومن ذلك الشرطة التي

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٢ – البداية والنهاية ٨/٨١.

ظهرت في بداية الدولة الأموية، وكان أصحاب الشرطة هم حرس الأمير الخاص، وكانوا يضعون قطعة من القماش على أيديهم ليتميزوا بها عن غيرهم من الجيش، فسموا الشرطة، وكان صاحب الشرطة أشبه ما يكون اليوم بمدير التشريفات الخاصة بالأمير، ولقد كان قيس بمنزلة صاحب شرطة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان قيس بن سعد من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بمنزله صاحب الشرطة من الأمير، فكلَّم أبوه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في قيس، فصرفه عن الموضع الذي وضعه مخافة أن يتقدم على شيء»(١).

النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يستعمل قيساً على الصدقات:

وكانت جباية الصدقات والزكاة من قبائل العرب، وإحضارها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم من أهم وأدق المهام في الدولة النبوية، وذلك لما تحتاجه هذه المهمة من حكمة، وأمانة، وقد روى المؤرخون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم استعمل قيساً على جباية الصدقات(٢).

وروي عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قيس بن سعدٍ رضي الله عنهما: «أنَّ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بَعَثَهُ سَاعِياً، فَقَالَ أَبُوهُ: لا تَخْرُجْ حَتَّى تُحْدِثَ برَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عَهْداً، فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ

(١) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٣ - تهذيب الكمال ٢٤/٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٤ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٤ - البداية والنهاية ٨/٨١.

أَتَى رَسُولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **يَا قَيْسُ، لا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلى رَقَبَتِكَ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ،أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوارٌ، أَوْ شَاةٌ لَهَا يُعَارٌ. ولا تَكُنْ كَأَبِي رِغَالٍ.** فَقَالَ سَعْدٌ: وَمَا أَبُو رِغَالٍ؟ قَالَ **مُصَدِّقٌ بَعَثَهُ صَالِحٌ، فَوَجَدَ رَجُلاً بالطَّائف في غُنَيْمَةٍ قَرِيبَةٍ من الْمِئَةِ، شِصَاصٍ، إلاَّ شَاةً وَاحِدَةً، وابْن صَغِير لا أُمَّ لَهُ، فَلَبَنُ تِلْكَ الشَّاة عَيْشُهُ. فَقَالَ صَاحِبُ الْغَنَمِ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم. فَرَحَّبَ، وقَالَ: هذه غَنَمِي، فَخُذْ أَيَّهَا أَحْبَبْتَ. فَنظَرَ إلى الشَّاة اللَّبُون. فَقَالَ: هذه فَقَالَ الرَّجُلُ: هذَا الْغُلاَمُ كَمَا تَرَى لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ وَلا شَرَابٌ غَيْرهَا .فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تُحِبَّ اللَّبَنَ فَأَنَا أُحِبُّهُ. فَقَالَ: خُذْ شَاتَيْنِ مَكَانَهَا. فَأَبَى، فَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُ وَيَبْذُلُ حَتَّى بَذَلَ لَهُ خَمْسَ شِيَاهٍ شِصَاصٍ مَكَانَهَا، فَأَبَى عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأى ذلك عَمَدَ إِلَى قَوْسِهِ فَرَمَاهُ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَأتِيَ رَسُول الله بِهذا الْخَبَرِ قَبْلِي، فَأَتَى صَاحِبُ الْغَنَمِ صَالِحاً النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ صَالِحٌ: اللهُمَّ الْعَنْ أَبَا رِغَالٍ، اللهّمَّ الْعَنْ أَبَا رِغَالٍ.** فَقَالَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ الله، اعْفُ قَيْساً مِنَ السَّعَايَةِ »[1].

قيس بن سعد صاحب لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

لقد كان سعدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صاحب لواء الأنصار في غزوات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم مشاهده

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢٢٧٢).

كلها، ولقد خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في ثمان وعشرين غزوةً، وكان يرسلُ الكثير من السرايا دون أن يذهب معها، وقد روى الدارقطني عن يحيى بن عبد العزيز قال: كان سعد بن عبادة يغزو سنة ويغزو ابنه قيس رضي الله عنهما سنة[1].

وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يبعثهم في بعث – سرية – عليهم قيس بن سعد بن عبادة[2].

وفي الطبقات لابن سعد أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمَّا انصرف من الجعرانة سنة ثمانٍ بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن وأَمَرَهُ أن يقدم صداء – قبيلة في اليمن – فعسكر بناحية قناة في أربعمئة من المسلمين، وقدِم رجلٌ من صداء فسأل عن خبر الجيش، فلمَّا علم بأمره خرج سريعاً حتى ورد على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وكان قيس صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في بعض المواطن [3] ومنها فتح مكة.

---

(١) الإصابة ٣/٥٥٣ نقلاً عن كتاب الأسخياء للدار قطني.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٤ – مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٢.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لما دخلَ مكة يوم الفتح أعطى رايته سعد بن عبادة رضي الله عنه، فلمَّا مرَّ سعدٌ من أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نادى: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم أذلَّ الله قريشاً، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حتى إذا حاذاه أبو سفيان، ناداه أبو سفيان: يا رسول الله، أمرتَ بقتل قومك، وأنت أبر الناس، وأوصل الناس؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: **يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً**. وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى سعدٍ فعزله، وجعل اللواء إلى ابنه قيسٍ[1].

وكان قيسٌ يطعم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في غزواته[2]، وسيأتي شيء من أخباره في الغزوات في أخبار جوده وكرمه.

إكرام قيسٍ رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

لقد سبق معنا أن سعداً رضي الله عنه – والد قيس – كان يُكثرَ من إكرام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وكان قيسٌ يفعل ذلك، وله ولأبيه في ذلك أخبار كثيرة، ومن ذلك ما روي من أن سعداً رضي الله عنه كان يُكرِم ضيوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وصادف أن جاء رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٥٩٧، ٥٩٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٦.

وسلّم ضيوفٌ كثير، وسعدٌ في سريةٍ خارج المدينة، فعلِمَ سعدٌ بخبر ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: إن يكُ ابني قيس فسيقول: يا نِسْطاس – خادم سعد – هات المفاتيح، أخرج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حاجته، فيقول نسطاس: هات من أبيك كتاباً، فيدقُّ أنفه، ويأخذ المفاتيح، ويُخرِجُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حاجته، فكان الأمر كذلك، وأخذ قيس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مئة وَسْق. يعني من التمر(١).

وقد بالغ قيس في محبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فأراد أن يسجُدَ له، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك.

عَنْ عَامرٍ الشَّعْبِيِّ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: «أَتَيْتُ الْحِيرَة، فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجَدُونَ لِمرْزُبَانٍ لَهُمْ، فَقُلْتُ: رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَة، فرأَيْتُهُمْ يَسْجدُونَ لِمَرْزُبانٍ لَهُمْ، فَأَنْتَ يَا رسولَ الله أحَقُ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. قَالَ: **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي، أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟** قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: **فَلاَ تَفْعَلوا، لَوْ كُنْتُ آمراً أَحَداً أَنَ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ**»(٢).

(١) الإصابة ٣/٥٥٣ نقلاً عن الأجواد للدراقطني. والوَسْقُ: حِمل بعير.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢١٤٠) – والدارمي برقم (١٤٧١).

زيارته صلى الله عليه وآله وسلّم لسعدٍ، وقيسٍ رضي الله عنهما:

وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم يُكثر من زيارة سعدٍ وقيسٍ رضي الله عنهما، وكانا يُهيئان له غُسلاً فيغتسل عندهما، ومن ذلك ما روي عن قيس ابن سعدٍ رضي الله عنهما قال: «زَارَنا رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مَنْزِلنَا، فَقَالَ: **السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله**. قَالَ: فَرَدَّ سَعْدٌ رَداً خَفِياً، قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ: ألا تَأْذَنُ لِرَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فَقَالَ: ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَيْنَا مِنَ السَّلامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله**، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ. فَقَالَ: يَا رَسول الله، إِني كنت أسمع تسليمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَداً خَفِياً، لِتُكْثِرَ علينا من السَّلامِ. قال: فانْصَرَفَ مَعَهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمر لهُ سعْدٌ بِغُسْلٍ. فاغتسلَ، ثُمَّ نَاوَلَهُ مِلْحَفَةً مَصْبُوغَةً بِزَعْفَرَانَ، أو ورسٍ فاشْتَمَلَ بها، ثم رفعَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يَدَيْهِ وَهُوَ يقولُ: «**اللهم اجعل صلواتِكَ ورحْمَتَكَ على آل سَعْد بن عُبادة**». قال: ثُمَّ أصابَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مِنَ الطعام، فَلَمَّا أرادَ الانصرافَ قرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَاراً، قَدْ وَطَّأَ عليه بِقَطِيفَةٍ، فركِبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فقال سَعْدٌ: يا قيسُ، اصحبْ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال قيْسٌ: فَقالَ لِي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **اركَبْ. فَأَبَيْتُ.**

ثم قال: إِمَّا أَنْ تركَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ. قال: فانْصَرَفْتُ»[1].

إكرام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقيس ووالده، ودعاؤه لهما:

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُكرم قيساً ووالده سعداً ويكثر من الثناء عليهما، وقد روى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: دخل سعد بن عبادة رضي الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومعه ابنه، فَسَلَّمَ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ها هنا، وهاهنا**» وأجلسه عن يمينه، وقال: «**مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار**» وأقام ابنه بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: **اجلس**، فجلس. فقال: «**ادنُ**»، فدنا، فقبَّلَ يد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ورجله فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: « **وأنا من الأنصار، وأنا من فراخ الأنصار**» فقال سعد: أكرمك الله كما أكرمتنا، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**إِنَّ الله أكرمكم قبل كرامتي...**»[2].

وحُدِّثَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرةً عن جود قيسٍ فقال: «**إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت**» أو «**إنه في بيت جود**»[3].

وكان يقول صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**خير دور الأنصار بنو النجار،**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٢١ – وأبو داود برقم (٥١٨٥) – وأخرجه ابن ماجه مختصراً برقم (٤٦٦ و ٣٦٠٤).

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٢.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٣.

ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو ساعدة»[1]. وساعدة هو أحد أجداد قيس.

وسبق معنا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**اللهم اجعل صلواتك، ورحمتك على آل سعد بن عبادة**»[2].

وهكذا فقد صاحب قيسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر سنين، وكان مُقَرَّباً منه، ومحبباً إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان قيس صادقاً في محبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجتهد في إكرامه، وفي خدمته، ونُصرته كما تبين لنا ذلك من خلال ما سبق معنا من الروايات والأحاديث.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٨) - ومسلم برقم (٢٥١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٢١ - وأبو داود برقم (٥١٨٥).

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
أخبار قيس مع علي والحسن رضي الله عنهما

توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دون أن يستخلف أحداً من بعده، واضطرب أمرُ المسلمين من بعده، وكان الأنصار يرون أنهم أحقُ بالأمر من المهاجرين لما بذلوه في سبيل نصرة الإسلام، واجتمع الأنصار بعد وفاة رسول الله في دار سعدٍ والد قيس، وأرادوا أن يبايعوه أميراً لولا أن عَلِم أبو بكر فسارع إليهم ومعه عمر وأبو عبيدة، واتفق أمر الحاضرين على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفضله وشرفه، ثُمَّ إن سعداً قسم ماله بين أولاده ثمَّ لحقَ بالشام مرابطاً، وبقي قيسٌ في المدينة، ولا شك أنه كان قريباً من أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان زوج أخته قريبة بنت أبي قحافة.

ثمَّ خرج قيسٌ في الجيش الذي أرسله عمرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفتح مصر، ثمَّ لمَّا توفي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستقر أمرُ المسلمين على عليٍ أو عثمان رضي الله عنهما، كان قيس مع عليٍ، وبقي كذلك، فاعتزل أمرَ فتنة عثمان، ولم يشارك فيها، ثمَّ لَمَّا قُتِلَ عثمان بايع قيسٌ علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من كبار أنصاره، ومن أمراء جيشه.

وولاَّه عليٌ مصرَ، فكادَ له معاوية وعمرو، وبُلِّغَ عليٌ عنه أخباراً مكذوبة، فعزله وولّى محمد بن أبي بكر. ثم قدم قيس بن سعد المدينة، فأرسلت إليه أم سلمة تلومه وتقول: فارقت صاحبَك، قال: أنا لم أفارقه طائعاً هو عزلني، فأرسلت إليه: إني سأكتب إلى علي في أمرك، وراح قيس

إليها، فأخبرها الخبر، فكتبت إلى علي تخبره بنصيحة قيس وأبيه في القديم والحديث، وتلومه على ما صنع، فكتب علي إلى قيس يعزم عليه إلا لحق به، فقال: والله ما أخرج إليه إلا استحياء، وإني لأعلم أنه مقتول؛ معه جند سوءٍ لا نيةَ لهم. فقدم على علي، فأكرمه، وحباه.

وأخبره قيس بخبره، وما كان يعمل بمصر، فعرف علي أن قيساً كان يداري أمراً عظيماً من المكيدة التي قصر عنها رأي غيره. وأطاع علي قيساً في الأمر كله، وجعله على شرطة الخميس الذين كانوا يبايعون للموت. فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم، والأسود بن أبي البُخْتري يتغيظ عليهما، وأنبهما أشد التأنيب وقال: أمددتما علياً بقيس بن سعد، برأيه ومكيدته؟ والله لو أمددتماه بمئة ألف مقاتل ما كان بأغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إليه![1].

وعن نصر بن مزاحم أن علياً رضي الله عنه لمَّا عزم المسير إلى صفين دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار، فاستشارهم، فقام قيس بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدوك، ولا تعرج، فوالله لجهادُهم أحب إليَّ من جهاد الترك والروم.

ثمَّ كان قيس في مقدمة جيش علي على شرطة الخميس، الذين بايعوا علياً على الموت[2].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١١٢.

(٢) مختصر ابن عساكر ٢١/١١٢ - طبقات ابن سعد ٦/١٢٢ - أعلام النبلاء ٣/١١٠.

فلمَّا اجتمع الجيشان في صفين وكانت الغلبة في أولِ لقاء بينهما لجيش عليٍ جمع معاوية خواصَّ أصحابه، فقال لهم: إنه قد غمني رجالٌ من أصحاب عليٍ، وعَدَّ فيهم قيس بن سعد بن عبادة، وعَبَّأ لكلِ واحد منهم رجلاً من أشدَّاء أصحابه، وجعل بسر بن أرطأة لقتال قيس بن سعد، فلمَّا اجتمعوا مرَّة أخرى للقتال خرج بسرٌ للقاء قيسٍ، فبرز قيسٌ وهو يقول:

أنا ابن سعدٍ زانه عبادة ... والخزرجيُّون رجالٌ سادة
ليس فِراري في الوغى بعادة ... إنَّ الفرارَ للفتى قلادة
يا ربُ أنتَ لقني الشهادة ... القتلُ خيرٌ من عناق غادة

ومما قاله قيس وهو يحمل لواء علي في صفين:

هذا اللواء الذي كنَّا نخف به ... مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضرَ من كانت الأنصار عيبته ... ألا يكون له من غيرهم أحَد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم ... بالمشرفية حتى يُفتح البلدُ[1]

ثمَّ ضرب قيسٌ بسراً ضربةً فرَدَّه على عقبيه، ورجع القوم جميعاً.

ولمَّا قتِلَ عليٌ كرَّم الله وجهه قام الحسن بن علي رضي الله عنه فخطب النَّاس وحثَّهم على الجهاد معه، فتثاقلوا، فقام قيس بن سعد فيهم خطيباً فوبَّخهم، وحثهم على القتال مع الحسن، وبايعه، فقام الحسن رضي الله عنه، وأثنى عليه وعلى

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٢٩٢.

قومه، وجعله على مقدمة جنده مع عبيد الله بن عباس[1].

ثمَّ لـمَّا دخل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صلحه مع معاوية، وبايعه، قام قيس فقال لمن معه – وكانوا خمسة آلافٍ قد حلقوا رؤوسهم –: إن شئتم جالدتُ بكم أبداً حتى يموت الأعجل، وإن شئتم أخذتُ لكم أماناً، فقالوا: بل تأخذ لنا أماناً، فأخذ لهم أماناً: أنَّ لهم كذا وكذا، ولا يُعَاقبون بشيء[2].

وكانت قد جرتْ بين قيس ومعاوية مراسلات، ثمَّ وفدَ قيس على معاوية، ثمَّ لحق بالمدينة، وبقي فيها إلى أن توفيَّ.

(١) البداية والنهاية ٨/٨٣ – طبقات ابن سعد ٦/١٢٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١١٢ – سير أعلام النبلاء ٣/١١٠.

الفصل الخامس
أخبار قيس مع معاوية رضي الله عنه

كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على كسب رؤوس العرب، ودهاتهم، وكان حريصاً على استمالة قيس خاصةً، وكان قيسٌ والأنصار عامةً مع عليٍ رضي الله عنه(١).

ولَمَّا أرسل علي – كرَّم الله وجهه – قيساً أميراً على مصر قام قيسٌ خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ودعا الناس إلى بيعة عليٍ، فقاموا وبايعوه.

ثم وثب مسلمة بن مخلد الأنصاري – وكان مع معاوية – فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس: ويحك أعليَّ تثب والله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وإني قتلتك فاحقن دمك، فأرسل إليه مسلمة: إني كافٌ عنك ما دَمتَ أنت والي مصر.

وبعث قيس إلى الذين اعتزلوا: إني لا أكرهكم على البيعة ولكني أدعكم، وأكف عنكم، فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد، وجبى الخراج، وليس أحد ينازعه.

وخرج علي إلى الجمل وقيس على مصر، ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من

---

(١) لم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد.

الشام، ومخافة أن يقبل علي بأهل العراق، ويقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما.

وكتب معاوية إلى قيس وعلي يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كنتم نقمتم على عثمان في عثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو شتمه رجلاً، أو تسييره أحداً، أو في استعماله أهله، فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن ليحلَّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدًّا، فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تفي شيئاً. وأما صاحبك، فقد استيقن أنه أغرى الناس بقتله وحَمَلَهُم على قتله، وأنه لم يسلم من دمه عظيم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وبايعنا على علي في أمرنا هذا، ولك سلطان العراقيين إن أنا ظفرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسلني غير هذا ما تحب فإنك لا تسألني شيئاً إلا أثبته، واكتب إليَّ رأيك فيما كتبتُ إليك.

فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن لا يبدي له أمره، ولا يعجل له فكتب إليه:

أمَّا بعد فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمتُ الذي ذكرتَ من أمر عثمان وذلك أمر لم أقاربه، وذكرتَ أَنَّ صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان، ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا أمر لم أطَّلع عليه، وذكرتَ لي أنَّ عظيم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي. وأمَّا ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه وما عرضتَ عليَّ فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظر وفكر، وليس هذا مما يُعجل إلى مثله، وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى نرى وترى إن شاء الله تعالى. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما قرأ معاوية كتابه لم يأمن من أن يكون في ذلك مخادعاً كايداً، فكتب إليه:

أما بعد، فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدُّك سلماً، ولم أرك تباعد فأعدُّك حرباً، وليس مثلي يصافح بالخدايع، ولا يخادع بالمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل، فإن قبلتَ الذي عرضتُ عليك فلك ما أعطيتكَ، وإن أنت لم تفعل أملأ عليك مصر خيلاً ورجالاً. والسلام.

فلما قرأ قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه فكتب إليه:

من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فالعجيب استسقاطك رأيي، والطمع في أن تسومني الخروج من طاعة أولى الناس

بالأمر، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعةِ أبعد الناس عن هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلاً، وأنآهم من رسول الله وسيلة.

وأمَّا قولك إنك تملأ علي مصر خيلاً ورجلاً، فلئن لم أشغلك في ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد. والسلام.

فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس، وتمنى لو كان مكانه غيره من ولاة علي، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعه، فدعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه، فشاع في الشام كلها أن قيساً صالح معاوية. وأتت عيون عليٍ إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجَّب له ودعا ابنيه حسناً وحسيناً، وابنه محمداً، وعبدالله بن جعفر، فأعلمهم بذلك وقال ما رأيكم؟ فأشار عليه عبدالله بعزل قيس، وتولية محمد بن أبي بكر، فأطاعه عليٌ، وعزلَ قيساً. ثمَّ لحقَ قيس بالمدنية، وعاد بعد ذلك إلى عليٍ، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم في المدينة: أمددتما علياً بقيس بن سعد، برأيه ومكيدته؟ والله لو أمددتماه بمئة ألف مقاتل كان أهون عليَّ من إمدادكما له بقيس.

ولمَّا تقاتل معاوية وعليّ في صفين كان قيس من أشدِّ الرجال على معاوية، وأغيظهم له.

ثمَّ لمَّا صالح الحسن بن علي معاويةَ رضي الله عنهم، وكتب معاوية إلى قيس يدعوه، ويُمَنِّيه، فكتب إليه قيسٌ: والله لا تلقاني إلاَّ والرمح بين

وبينك، فأمرَ معاوية بسيف أو رمح فوضع بينه وبين قيس ليَبَرَّ بقسمه، ثمَّ جرى بين قيس ومعاوية حواراً عنيفاً، ثمَّ قال له معاوية: اللهم غفراً، هل تبايعني، فقال له قيس: نعم، فمدَّ يده على فخذِه، فقام معاوية ووضع يده بيده.

وسيأتي في صفات قيسٍ وأخلاقه بعض أخباره مع معاويةَ إن شاء الله تعالى[1].

(١) راجع أخبار قيس مع معاوية في مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٣، ١١٠، ١١١ – وسير أعلام النبلاء ٣/١٠٨، ١١١، ١١٢ – تهذيب الكمال ٢٤/٤٤، ٤٠ – أعيان الشيعة ٨/٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس
جود قيس وسخاؤه

لقد كان قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجواد المسلمين، وأسخيائهم، ورويت عنه في ذلك أخبارٌ كثيرة، واشتهر عنه الكرم حتى صار مضرب المثل، ومقصد الناس.

وروى ابن عساكر وغيره قالوا:

بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا عبيدة بن الجرَّاح في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاثمئة رجل إلى ساحل البحر، إلى حيٍّ من جُهَيْنَة، فأصابهم جوعٌ شديد، فأمر عبيدة بالزَّاد فجُمع حتى إنهم كانوا يقتسمون التمرةَ، فقيل لجابر: فما يُغْني ثلث تمرة؟ قال: لقد وجدوا فَقْدها. قال: ولم يك حمولة[1]، وإنَّما كانوا على أقدامهم، وأباعر يحملون عليها زادهم، فأكلوا الْخَبَط، وهو يومئذ ذو مَشرة[2] - يعني أنه رخص، لين الأطراف قبل أن يغلظ - حتى إنَّ شِدْقَ أحدهم بمنزلة مِشْفر البعير العَضِه[3]. فمكثنا على ذلك حتى قال قائلهم: لو لقينا عدواً ما كان بنا حركة إليه، لِما بالناس من الجهد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً

(١) الحمولة: ما يُحمَلُ عليه، وهو الدابة.

(٢) الخَبَط: نوع من علف البهائم.

(٣) العضاه: كل شجرٍ له شوك.

بجُزُرٍ، يُوفيني الْجُزُر هاهنا، وأُوفيه التمرَ بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: واعجباه لهذا الغلام! لا مال له، يَدَّان في مال غيره! فوجد رجلاً من جُهَيْنة فقال قيس بن سعد: بعني جُزراً وأوفيك سِقَةً[1] من تمرٍ بالمدينة: قال الجُهَني: والله ما أعرفُك، ومن أنت؟ قال قيس: أنا قيس بن سعد بن عُبادة ابن دُليم، قال الْجُهَني: ما أعرفني بنسبك! أمَا إن بيني وبين سعد خُلَّة، سيّد أهل يثْرِب، فابتاع منه خمس جزائر، كلّ جزور بوَسْقَيْن من تمر، يشترط عليه البَدَوي تمر ذخيرة مصلَّبة من تمر آل دليم، قال: يقول قيس: نعم، فقال الجهني: فأشْهدْ لي، فأشهد له نفراً من الأنصار، ومعهم نَفَرٌ من المهاجرين قال قيس: أشْهِدْ من تُحِبُّ. فكان فيمن استشهد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لا أشهد أبداً! هذا يَدَّان ولا مال له؛ إنَّما المال لأبيه. قال الْجُهَني: والله ما كان سعد ليُخْنِي بابنه[2] في سِقةٍ من تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً. فكان بين عمر وقيس كلام حتى أغلظ له قيس الكلامَ، وأخذ قيس الْجُزُر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة، كل يوم جزوراً، فلمَّا كان اليوم الرابع أقبل أبو عُبيدة بن الجَرَّاح ومعه عمر بن الخطاب، فقال: عزمت عليك ألاَّ تنحر، أتريد أن تخرب ذِمَّتك ولا مال لك؟! فقال قيس: أبا عبيدة، أترى أبا ثابت وهو يقضي دين الناس، ويحمل الكَلَّ، ويطعم في المجاعة لا يقضي عنه سَقَة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله! فكاد

(١) السَّقة: جمع وسق، والوسق: حمولة البعير.

(٢) ليخني بابنه: أي يُسلِمَهُ، ويخفِرَ ذمته.

أبو عبيدة أن يلين له وتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه، فعزم عليه، فأبى عليه أن ينحر، فبقيت جزوران معه حتى وجد الحوتَ، ورمى به البحر إليهم – فقدم بهما قيس المدينة ظَهْراً، يتعاقبون عليها. وبلغ سعداً ما كان أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يك قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم. فلما قدم قيس لقيه سعد، فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرتُ. قال: أصبتَ، انحرُ، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم نحرتُ، قال أصبت، انحر، قال ثم ماذا؟ قال: ثم نحرتُ، قال: أصبت، انحر. قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيتُ، قال: ومن نهاك. قال: أبو عبيدة بن الجرّاح أميري، قال: ولِمَ؟ قال: زعم أنَّه لا مال لي وإنما المال لأبي، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكَلَّ، ويطعم في المجاعة، ولا يصنع هذا بي. قال فلك أربع حوائط. قال: وكتب له بذلك كتاباً، قال: وأتى بالكتاب إلى أبي عبيدة فشهد فيه، وإلى عمر فأبى أن يشهد، وأدنى حائط منها يُجد خمسين وَسْقاً. وقدم البدوي مع قيس، فأوفاه سِقَته، وحمله وكساه. فبلغ النبي فعلُ قيسٍ، فقال: «**إنه في بيت جود**»(١).

وهكذا فقد كان قيس كما وصفه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيت جود، ورث الجود عن أبيه وأجداده، فعن عبد الملك بن عبد العزيز ابن سعيد بن سعد بن عبادة أن دُليم جدَّ سعدٍ كان يُهدي إلى مناة – صنم

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٥، ١٠٦ – سير أعلام النبلاء ٣/١٠٦ – تهذيب الكمال ٢٤/٤٣.

من أصنام الجاهلية – كل عام عشر بدنات. ثمَّ كان عبادة والد سعد يهديها، ثمَّ كان سعدٌ قبل الإسلام يفعل مثل ذلك إلى أن أسلم، وكان قيس يهدي مثلها إلى الكعبة لمَّا أسلم(١).

وكان سعدٌ وآباؤه ينادون على أطم لهم من أرادَ شحماً أو لحماً، فليأتِ أُطُمَ دُليم بن حارثة – جدِّ سعدٍ – وكان قيس من بعدهم يفعل ذلك(٢).

وكان سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشجع ولده قيساً على الجود كما سبق معنا، عن جويرية بن أسماء قال: كان قيس بن سعد يستدين ويُطعم، فقال أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فصلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً بأصحابه، فقام سعد بن عبادة خلفه، فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة، وابن الخطاب يُبَخِّلان ابني!(٣).

وعن سفيان بن عيينة أن سَعد بن عبادة قَسَم مالَهُ بين وَلَده وخرجَ إلى الشام فماتَ، وولد له ولد بعده فجاء أبو بكر وعُمر إلى ابنه قَيْس بن سعد فقالا: إن سَعْداً – يرحمه الله – تُوفِّي. ولم يَعْلَم ما هو كائن، وإنّا نرى أن تردوا على هذا الغُلام. فقال: ما أنا بِمُغَير شيئاً صنعه سَعْد ولكن نصيبي له(٤).

---

(١) الاستيعاب ٢/٦٩٥، والهدي هو ما يُذبَحُ في الحرم ويوزع على الفقراء.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٤٦١. والأُطُمُ: القصر، وكلُ بيتٍ مربع. القاموس المحيط ٤/١٠٢.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٧.

(٤) تهذيب الكمال ٢٤/٤٤.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه: باعَ قَيْس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفا، فأمر منادياً فنادى في المدينة: من أراد القَرْض فليأت منزل سَعْد، فأقرض أربعينَ أو خمسين، وأجاز بالباقي، وكتبَ على من أقرضه صَكًّا، فمرض مرضاً وقَلَّ عوادُه فقال لزوجته قُرَيْبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر: يا قُرَيْبة لم ترين قَلّ عُوادي؟ قالت: للذي لك عليهم من الدَّين.

فأمر قيس منادياً، فنادى: من كان لقيس دينٌ عليه، فهو في حِلٍ منه وأرسل إلى كل رجلٍ منهم بِصَكِّه، فكثُرَ عوَّادهُ حتى كُسِرَت عتبة بابه[1].

وعن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة قال: كان قيسُ بن سعد يُطعم الناس في أسفاره مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وكان إذا نفد ما معه استدان، وكان ينادي في كل يوم: هلمُّوا إلى اللحم والثريد[2].

وعن موسى بن عقبة قال: وقفتْ على قيس بن سعد عجوزٌ، قالت: أشكو إليك قِلَّةَ الجرذان، فقال قيس ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً، ولحماً، وسمناً، وتمراً[3].

وعن سفيان بن عيينة قال: أقرض قيس بن سعدٍ رجلاً ثلاثين ألفاً فجاء

---

(١) تهذيب الكمال ٢٤/٤٣ - المستجاد من فعلات الأجواد ١٧٥ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٧.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ٢١/١٠٧.

يقضيه، فقال له قيس: إنَّا قوم إذا أعطينا شيئاً لم نرجع فيه[1].

واختلف ثلاثةٌ في أجود الناس، فقال رجلٌ: أسخى الناس عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس في عصرنا هذا قيس بن سعد ابن عبادة، وقال الثالث: أسخى الناس عَرابةُ الأوسيُّ. فتلاحَوْا، وأفرطوا، وكثُر ضجيجهُم في ذلك بفناء الكعبة، فقال لهم رجال: قد أكثرتم فلا عليكم يمضي كلُّ واحدٍ منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان، فقام صاحب عبدالله بن جعفر، فصادفه قد وضع رجله في غرز راحلته يريد ضيعة له، فقال له: يا بن عم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل و منقطع به. قال: فأخرج رجله من الغَرْز وقال: ضع رِجلَك واستوِ على الناقة، وخذ ما في الحقيبة، ولا تخدع عن السيف فإنَّه من سيوف علي بن أبي طالب، وامض لشأنك. قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز، وفيها أربعة آلاف دينار، وأعظمُها وأجلُّها خطراً السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة، فلم يصادفه، وعاد، فقالت له الجارية: هو نائم، فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل، ومنقطع به، قالت فحاجتك أيسرُ من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار، ما في دار قيس مال في هذا اليوم غيره، وصرْ إلى مَعَاطن الإبل، إلى مولانا بعلامتنا، فخذ

(١) تهذيب الكمال ٢٤/٤٤.

راحلةً مُرَحَّلة، وما يصلحها، وعبداً، وامض لشأنك. فقيل: إن قيساً انتبه من رقدته، فخبرته المولاة بما صنعت، فأعتقها، وقال لها: ألا أنبهتني فكنت أزيده من عُرُوض ما في منزلنا، فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث أراد.

ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه، فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكئ على عبدين، وقد كُفَّ بصره، فقال: يا عَرابة، قال: قل ما تشاء؟ قال: ابن سبيل، ومنقطع به، قال: فخلَّى عن العبدين، ثم صفق بيده اليمنى على اليسرى، ثم قال: أوه، أوه، والله ما أصبحتُ، ولا أمسي وقد تركت الحقوقُ لعرابةَ من مال، ولكن خُذْهما – يعني العبدين – قال: ما كنت بالذي أفعل، أقص جناحيك! قال: إن لم تأخذهما فهما حرَّان، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمسُ الحائط بيده. قال فأخذهما وجاء بهما.

قال: فحكم الناس على ابن جعفر: قد جاد بمال عظيم، وأنَّ ذلك ليس بمستنكر له إلاَّ أن السيف أجلها، وأنَّ قيساً أحدُ الأجواد؛ حكم مملوكته في ماله بغير علمه، واستحسانه ما فعلت، وعتقه لها، وما تكلم به. وأجمعوا على أنَّ أسخى الثلاثة عَرابة الأوسيَّ؛ لأنه جُهْد من مُقِل[1].

وشهد لقيس كل من عرفه، أو روى أخباره بأنه كان من أجواد المسلمين، ومن أسخيائهم.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١٠٩، ١١٠ – المستجاد من فعلات الأجواد ١٢٣، ١٢٤.

obeikandl.com

الفصل السابع
في بعض صفاته وأخباره

أولاً - دهاءُ قيس:

الدهاء هو شدَّة الذكاء، والحيلة، ولقد كان دهاء قيس مضرب المثل[١].

عن ابن شهاب الزهري قال:

وكانوا يعدون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسةَ رَهْط، يقال لهم: ذَوُو رأي العرب في مكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص وقيس بن سعد، والمغيرة بن شعبة. ومن المهاجرين عبدالله بن بُدَيْل بن وَرْقاء الْخُزاعي. وكان قيس، وابن بُدَيْل مع علي - عليه السلام - وكان المغيرة مُعْتَزلاً بالطائف وأرضها حتى حكم الحكمان[٢].

وعن قيس بن سعدٍ قال: لولا أني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «**المكر والخديعة في النار**»[٣] لكنتُ من أمكر هذه الأمة[٤].

وعن عوفٍ عن محمد: أمَّرَ عليٌّ قيسَ بن سعد على مصر، وكان حازماً

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٧.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١١٠ - تهذيب الكمال ٢٤/٤٤، ٤٥.

(٣) أخرجه الحاكم ٤/٦٠٧.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/١١٠ - سير أعلام النبلاء ٣/١٠٧، ١٠٨.

فنبئت أنه كان يقول: لولا أنَّ المكر فجور لمكرتُ مكراً تضطرب منه أهل الشام بينهم(١).

وعن يزيد بن أبي حبيب قال: ضبط قيس مصر، وكان ممتنعاً بالمكيدة والدهاء من معاوية وعمرو، أدرَّ الأرزاق عليهم، ولم يحمل إلى أهل الشام طعاماً(٢).

وقد ذكرنا في أخبار قيس مع معاوية، وما جرى بينهما من مكاتبات بعضاً من أخبار دهائه وذكائه، فراجعها هناك إن أردت.

ثانياً - طوله، وصفته:

كان قيسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أطول الناس في زمانه، بل لعله أطولهم. روى ابن عساكر، والخطيب البغدادي وغيرهما عن سفيان بن عيينة قالا: كان قيس ابن سعد إذا ركب الحمار خطَّتْ رجلاه إلى الأرض، وكان رجلاً ضخماً، صغيرَ الرأس، له لحية في ذقنه(٣).

وروي أنَّ ملك الروم أرسل إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برجلين وكتب إليه هذا أطول رجل من الروم، وأقوى رجل فإن كان لديك أطول منه، وأقوى منه صالحتك، ودفعتُ إليك الجزية، فأرسل معاوية في طلب رجل من أشداء المسلمين

(١) المصدر السابق ٣/١٠٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/١٠٨.

(٣) مختصر ابن عساكر ٢١/١٠٤ - تاريخ بغداد ٧/١٤١.

يغلب قويَ الروم، ثم قال لقيس بن سعد: ما نظننا إلاَّ قد احتجنا إلى سراويلك. قال فقام، فتنحى، فجاء بها، فألقاها إلى معاوية، فقال: يرحمكُ الله، ما أردت إلى هذا؟ ألا ذهبت إلى بيتك، فبعثت بها؟! فقال قيس:

أَرَدْتُ بها أَنْ يعلمَ الناسُ أنَّها ... سراويلُ قيس، والوفودُ شهودُ
وألا يقولوا: غاب قيسٌ وهذه ... سَراويلُ عادي نَمَتْهُ ثَمُودُ
وإنِّي من الحي اليَماني لَسَيدٌ ... وما الناسُ إلاَّ سيدٌ ومسود
فكدهم بمثلي، إن مثلي عليهم ... شديدٌ، وخلْقي في الرجال مديد

قال: فأمر معاوية بأطول رجلٍ في جيش الروم، فوضعها على أنفه، قال: فوقعت في الأرض[1].

وقد سبق معنا بعضٌ من أخبار شجاعة قيس وفروسيته، وفصاحته فيما ذكرناه من أخباره مع معاوية وعلي رضي الله عنهم جميعاً.

الرواية عن قيس:

صاحب قيسٌ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر سنين، وكان خلال ذلك – كما مرَّ معنا – قريباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يشهد معه الغزوات، ويحضر مجالسه العامة والخاصة، وقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاثة عشر حديثاً، وقد روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم.

(١) مختصر ابن عساكر ٢١/١١٣ – سير أعلام النبلاء ٣/١١٢ – تهذيب الكمال ٢٤/٤٥.

كما روى عن أبيه سعد بن عبادة، وعن عبدالله بن حنظلة رضي الله عنهما.

ومما روي عنه:

عن ميمون بن أبي شبيب عن قيس بن سعد بن عبادة أنَّ أباه دفعه إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يخدمه. قال فَمَرَّ بي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد صليْتُ، فضربني برجله، وقال: «**ألا أدلك على بابٍ من أبواب الجنة؟**» قلت: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلى با لله**»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٢٢ - والترمذي (٣٥٨١).

الخاتمة

وهكذا فقد كُنَّا مع رجلٍ من عظماء التاريخ، ورث المجد والشرف عن آبائه وأجداده، وكان من أجواد العرب ومن دهاتهم، أكرمه الله بالإسلام شاباً، وصاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر سنين كان فيها قريباً منه، ملازماً له.

وقد شهد أحداثاً، وفتناً عظيمة، وواجه عروضاً ومغرياتٍ كثيرة، ولكنه مع ذلك كله لم يتغير، ولم يتبدل، وبقي ملتزماً بقيمه، ومبادئه.

ولا شك أن حياة قيس وإخلاصه تصلح أن تكون نموذجاً، ومناراً يقتدي به المسلم في حياته، ويهتدي به، وهو كغيره من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثلهم مثل النجوم يهتدي بها الساري، فَيَصِلُ إلى هدفه، ومطلبه، وهي جنةُ الله ورضوانه.

وهكذا فإن قيساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن عاش حياةً مليئةً بالصحة، والجهاد، والأعمال الكريمة، توفي في المدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه.

أسأل الله أن أكون قد وفّقت لعرض سيرته وأخباره نقيةً سليمةً، والحمد لله أولاً وآخراً.

obeikandl.com

المصادر والمراجع

١- الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة	السيوطي
٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البر القرطبي
٣- الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني
٤- أعيان الشيعة	محسن الأمين
٥- البداية والنهاية	ابن كثير
٦- تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
٧- تهذيب الكمال	الحافظ المزي
٨- سير أعلام النبلاء	الحافظ الذهبي
٩- السيرة النبوية	ابن هشام
١٠- سنن الترمذي	
١١- سنن الدارمي	
١٢- سنن أبي داود	
١٣- سنن ابن ماجه	
١٤- صحيح البخاري	تحقيق د. البغا
١٥- صحيح ابن حبان	ترتيب ابن لبَّان
١٦- صحيح ابن خزيمة	
١٧- صحيح مسلم	

obeikandl.com

١٨- الطبقات الكبرى	ابن سعد
١٩- القاموس المحيط	الفيروز أبادي
٢٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	ابن حجر الهيتمي
٢١- مختصر تاريخ ابن عساكر	
٢٢- المستجاد من فعلات الأجواد	
٢٣- المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري
٢٤- مسند الإمام أحمد	
٢٥- المغني والشرح الكبير	ابن قدامة
٢٦- نظم المتناثر في الحديث المتواتر	محمد بن جعفر الكتاني
٢٧- نيل الأوطار	الشوكاني

obeikandl.com

الفهرس

هـــذا الـــرجـــل	.....	٥
المقـــدمـــة	.....	٧
الـفـــصـل الأول:	فضل الأنصار وثناء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليهم	٩
الفـــصل الثـــاني:	الأصل الطيب، بعض من أخبار سعد بن عبادة رضي الله عنه ..	١٣
الفـــصل الثـــالث:	أخبار قيس بن سعد مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.	١٧
	قيس صاحب شرطة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم	١٧
	النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يستعمل قيساً على الصدقات	١٨
	قيس بن سعد صاحب لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم	١٩
	إكرام قيس رضي الله عنه لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم	٢١
	زيارته صلّى الله عليه وآله وسلّم لسعد، وقيس رضي الله عنهما	٢٣
	إكرام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لقيس ووالده، ودعاؤه لهما	٢٤
الفـــصـل الرابع:	أخبار قيس مع علي والحسن رضي الله عنهما	٢٧
الفـــصل الخـــامس:	أخبار قيس مع معاوية رضي الله عنه	٣١
الفـــصـل الســـادس:	جود قيس وسخاؤه	٣٧

obeikandl.com

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan
(01) 4983392